منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم وسوف تعلمون. و
قال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملا من الخير جوزي به في الجنة ومن عمل عملا سوءا جوزي
به في النار وسوف تعلمون ومعنى قول الحسن ان الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد
فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر فبين المعنى ولم يرد ان نفس الجزاء
هو نفس النبأ وعن السدي قال لكل نبأ مستقر اي ميعاد وعدتكموه فسيأتيكم حتى
تعرفونه وعن عطا لكل نبأ مستقر تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فاذا عمل ذنبه عاقبه اي لا يعاقبه
بالوعيد حتى يفعل الذنب الذي توعد عليه ومنه قول كثير من السلف في آيات هذه
ذهب تأويلها وهذه لم يأت تأويلها مثل ما روى ابو الاشهب عن الحسن والربيع عن ابي
العالية ان هذه الآية قرئت على ابن مسعود يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم الآية فقال
ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم
انفسكم ثم قال ان القرآن نزل حيث نزل فمنه آي قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه
آي وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم
بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي
يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم و
اهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا
فاذا اختلفت القلوب والأهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه
فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه قد ذكر في هذا — [في الهامش: لعله فابن مسعود]
الكلام تأويل الامر وتأويل الخبر فهذه الآية عليكم انفسكم من باب الامر وما ذكر
من الحساب والجنة من باب الخبر وقد تبين ان تأويل الخبر هو وجود المخبر به وتأويل الامر
المأمور به هو فعل المأمور به فالآية التي مضى تأويلها قبل نزولها من باب الخبر — [في الهامش: نزولها]
يقع شيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكذيبهم له وهي وان
مضى تأويلها فهي عبرة ومعناها ثابت في نظيرها ومن هذا قول ابن مسعود
خمس قد مضين ومنه قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر واذا تبين ذلك فالمتشابه
من الامر لا بد من معرفة تأويله لانه لا بد من فعل المأمور وترك المحظور وذلك لا يمكن
الا بعد العلم لكن ليس في القرآن ما يقتضي ان في الامر متشابها فانه يقول واخر متشابهات

قد يراد به

قد يراد به من الخبر مثل ما اخبر به في الجنة من اللحم واللبن والماء والحرير والذهب فان بين
هذا وبين ما في الدنيا تشابها في اللفظ والمعنى ومع هذا فحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة
هذا وتلك الحقيقة لا نعلمها نحن في الدنيا وقد قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا الذي وعد
الله عباده المؤمنين لا تعلمه نفس هو من التأويل الذي لا يعلمه الا الله وكذلك وقت
الساعة لا يعلمه الا الله واشراطها فكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراط
والميزان والحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته الا الله فانه لم يخلق بعد حتى تعلمه
الملائكة ولا له نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به فهو من التأويل المتشابه الذي لا
يعلمه الا الله وكذلك ما اخبر به الرب سبحانه عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه و
بصره وكلامه وغير ذلك فان كيفيات ذلك لا يعلمه الا الله كما قال ربيعة بن ابي
عبد الرحمن ومالك بن انس وسائر اهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل
الرحمن على العرش استوى فقالوا الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة هذا لفظ مالك فاخبر ان الاستواء معلوم وهذا تفسير اللفظ و
اخبر ان الكيف مجهول وهذا هو الكيفية التي استأثر الله بعلمها وكذلك سائر السلف
كابن الماجشون واحمد بن حنبل وغيرهما يبينون ان العباد لا يعلمون كيفية ما اخبر الله به
عن نفسه فالكيفية هي التأويل الذي لا يعلمه الا الله واما نفس المعنى الذي بينه الله
فيعلمه الناس كل على قدر فهمه فانهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر وان مفهوم
هذا ليس مفهوم هذا ويعرفون الفرق بينهما وبين العليم والقدير وان كانوا لا يعرفون
كيفية سمعه وبصره بل الروح التي يعرفونها من حيث الجملة ولا يعرفون كيفيتها
كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش وانه يتضمن علو الرب على عرشه وارتفاعه
عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم وهذا معنى معروف من اللفظ لا يحتمل في
اللغة غيره كما بسط في موضعه ولهذا قال مالك الاستواء معلوم ومن قال الاستواء — [في الهامش: قد مر]
له معان متعددة فقد اجمل كلامه فانهم يقولون استوى فقط ولا يصلونه بحرف
وهذا له معنى ويقولون استوى على كذا وله معنى واستوى الى كذا وله معنى واستوى
مع كذا وله معنى فتتنوع معانيه بحسب صلاته واما استوى على كذا فليس في

[في الهامش: [illegible]]

Copyright King Saud University